رسالة

# تنزيه الذات والصفات

# من درن الالحاد والشبهات

لبعض علماء نجد الاعلام

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية، ومحيي السنة المحمدية

## الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

( وقد وقفها على من ينتفع بها من أهل العلم والدين )

لا يحل لمن وقعت بيده بيعها

# بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الانسان لعبادته ، وشرفه بخطابه ورسالته ، وأمره ونهاه، وألهمه فجوره وتقواه، لما أراده منه وقدره عليه، ليكون مصيره ومنتهاه اليه، لا إله إلا هو ولا رب سواه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله

( أما بعد ) فقد قال الله سبحانه وتعالى ( وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون * ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون * ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ) اي ان الله سبحانه غني كريم عزيز حكيم فهو محسن إلى عبده مع غنائه عنه ، يريد به الخير ويكشف عنه الضر لا لجلب منفعة ولا لدفع مضرة ، بل رحمة منه وإحساناً، فهو سبحانه لم يخلق خلقه ليستكثر بهم من قلة ، ولا ليعتز بهم من ذلة، ولا ليرزقوه ولا لينفعوه ولا ليدفعوا عنه بل ما خلقهم ( إلا ليعبدوه) حق عبادته . وأما العباد فانهم لفقرهم وحاجتهم انما يحسن بعضهم إلى بعض لحاجته وانتفاعه به عاجلا او آجلا ، ولولا تصور ذلك النفع لما احسن اليه، فهو في الحقيقة انما أراد الاحسان الى نفسه ،وجعل احسانه الى غيره وسيلة وطريقا الى وصول ذلك الاحسان اليه ، فانه إما أن يحسن اليه لتوقع جزائه في العاجل فهو محتاج الى ذلك الجزاء معاوضا باحسانه، أو لتوقع حمده وشكره، فهو محسن الى نفسه باحسانه الى غيره ،وإما ان يريد الجزاء من الله في الآخرة فهو ايضا محسن الى نفسه بذلك كما قال تعالى ( ان احسنتم احسنتم لأنفسكم) وقال تعالى (وما تفعلوا من خير يوف اليكم) وقال رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه عز وجل « يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن

الا نفسه » وقال تعالى ( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ؟ ) اي لعبا وباطلا لا لحكمة، وهو منصوب على الحال اي عابثين، وقيل للعبث، اي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا لثواب ولاعقاب ، وهو مثل قوله ( أيحسب الانسان ان يترك سدى؟ ) وانما خلقتم للعبادة واقامة اوامر الله تعالى واجتناب نواهيه (و) حسبتم (انكم الينا لا ترجعون) في الآخرة لنجازيكم بما عملتم ، ولولا ذلك اليوم لما تميز المطيع عن العاصي والصديق عن الزنديق، ويكون هذا الخلق عبثا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

وأول ما يقرع سمعك في المصحف من الامر بعد ما بين الله مراتب الخلق بين مؤمن وكافر ومنافق ( يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ) وقال تعالى ( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ) أمر تعالى بعبادته وحده لاشريك له ، فانه الخالق الرازق المتفضل على خلقه بآلائه في جميع الحالات فهو المستحق منهم ان يوحدوه في عبادته لايشركوا به شيئاً من مخلوقاته، كما قال ﷺ لمعاذ «اتدري ماحق الله على العباد ؟» قال الله ورسوله أعلم ، قال « ان يعبدوه لايشركوا به شيئاً » ثم قال «أتدري ماحق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك ؟ ان لا يعذبهم »

وللعبادة شرطان ( أحدهما ) الاخلاص في العمل لقوله تعالى ( وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ) اي الملة المستقيمة والشريعة المتبعة ، وانما أضاف الدين للقيمة وهي نعته لاختلاف اللفظين ، وانث القيمة رداً إلى الملة ، وقيل القيمة جمع القيم

واحتج بهذه الآية من قال الايمان عبارة عن القول والاعتقاد ، والعمل هو الدين، لأنه تعالى ذكر في هذه الآية مجموع هذه الثلاثة قال ( وذلك دين القيمة ) اي وذلك المذكور دين القيمة، لان الدين هو الاسلام ، والاسلام هو الايمان

لقوله تعالى ( إن الدين عند الله الاسلام ) والاسلام هو الايمان من وجهين

( الاول ) ان الايمان لو كان غير الاسلام لما كان مقبولا عند الله لقوله تعالى ( ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ) ولكن الايمان بالاجماع مقبول عند الله فلا شك انه عين الاسلام كما هو ظاهر

( والوجه الثاني ) قوله تعالى ( فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين )

وقال بعضهم الاشارة في ذلك راجعة إلى الاخلاص من قوله تعالى (مخلصين له الدين ) وأما مجموع ماتقدم فهو الدين الكامل أي المستقل بنفسه

( والشرط الثاني ) متابعة الرسول ﷺ بفعل ماأمر به وترك مانهى عنه كما قال تعالى ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني ) وقال تعالى ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم )

قال الاخفش في قوله ( عن أمره ) صلة. والمعنى يخالفون أمره ﷺ. وقال غيره عن أصلية، والمعنى يعرضون عن أمره ويميلون عن سنته ، وقال تعالى ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا )

وكان سبب نزول قوله تعالى ( فليحذر الذين ) الآية انه كان ﷺ يعرض في الخطبة بالمنافقين ويعيبهم فاذا سمع المنافقون ذلك خرجوا ولم يصلوا

( والثانية ) نزلت في أموال الفيء والغنيمة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهو عام في كل ماأمر به ﷺ ونهى عنه من قول وعمل، كما هو جار في جميع الخطاب المتعلق بافعال المكلفين ، فكيف وقد أوجب الله طاعته بقوله تعالى ( ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ) قال ابن عباس وجابر، هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم على شريعته ومنهاجه وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد مستدلين على ذلك بقوله ( ولو

ردوه إلى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم )

وقال ابو هريرة : هم الامراء والولاة الذين يعلمون ويحكمون بما أنزل الله على رسوله ﷺ

وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه « حق على الامام ان يحكم بما أنزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا له ويطيعوا »

وعن ابي هريرة قل : قال رسول الله ﷺ « من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن اطاع اميري فقد اطاعني ، ومن عصى اميري فقد عصاني »

وعن نافع عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ انه قال « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »

وقل عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في اليسر والعسر ، وان نقوم - او نقول - بالحق حيثما كنا ، لانخاف في الله لومة لائم »

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال « اسمع وأطع ولو لعبد حبشي كان رأسه زبيبة »

وعن ابي امامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال « يأيها الناس اتقوا الله ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا اذا امركم تدخلوا جنة ربكم »

فطاعة هؤلاء من طاعته ﷺ الواجبة على كل مكلف ، وقال تعالى ( فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله ) أي الى كتاب الله وإلى رسوله في حياته وبعد وفاته إلى سنته

وقال مجاهد وغير واحد من السلف هذا امر من الله عز وجل بان كل شيء تتنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه يرد التنازع في ذلك إلى كتاب الله

وسنة رسوله كما قال تعالى ( فما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ) فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله فهو الحق ( وماذا بعد الحق إلا الضلال) ولهذا قال تعالى ( إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ) اي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا اليهما فيما شجر بينكم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . فدل على ان من لم يتحاكم في مجال النزاع إلى الكتاب والسنة ولم يرجع اليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله واليوم الآخر

فالرد إلى الكتاب والسنة واجب لصريح الامر وتعليق الايمان عليه وجوداً وعدما لان الوعيد عائد إلى قوله ( فردوه ) والشرط جوابه محذوف عند جمهور البصريين ، اي فردوه إلى الله وهو المتقدم عند غيرهم كما جاء الوعيد في قوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ) فالوعيد عائد الى التحكيم، ولا أصلية ، والمعنى ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك. ثم استأنف بعد ذلك . فعلى هذا يكون الوقف على « لا » تاما ، وقيل ان « لا » مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في ( لئلا يعلم )

وقد جاء في الحديث « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به »

وسبب نزول هذه الآية مارواه ابن أبي حاتم عن ابي الاسود قال : اختصم رجلان إلى رسول الله ﷺ فقضى بينهما فقال الذي قضى عليه : ردنا إلى عمر ابن الخطاب فقال نعم فانطلقا اليه، فقال الرجل : يا ابن الخطاب قضى لي رسول الله ﷺ على هذا فقال ردنا إلى عمر فردنا اليك ، فقال أكذلك ؟ فقال نعم . فقال عمر مكانك حتى أخرج اليكما فأقضي بينكما فخرج اليهما مشتملا على سيفه فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله وأدبر الآخر فاراً إلى رسول الله . فقال يارسول الله قتل عمر والله صاحبي، ولو ماأني أعجزته لقتلني فقال رسول الله « كنت

ما أظن أن يتجرأ عمر على قتل مؤمن » فأنزل الله ( فلا وربك لا يؤمنون ) الآية فهدر دم ذلك الرجل وبريء عمر منه . فعلى هذا تكون الآية متعلقة بما قبلها وهو اقرب للمقام من السبب الآتي ذكره ، وبه قال مجاهد وعطاء والشعبي وغيرهم من علماء السلف

وقيل ان هذه الآية نزلت في أنصاري مجهول . وقيل في حاطب بن ابي بلتعة الانصاري البدري ( ١ ) حين اختصم مع الزبير عند رسول الله في سقيا ماء ، فحكم ﷺ للزبير فقال حاطب . ابن عمتك ، فتلون وجه النبي ﷺ فنزلت هذه الآية ،

وعلى هذا تكون الآية مستأنفة حينئذ [الراج مسايل الماء](٢) ( ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ) قال مجاهد شكا وقال غيره ضيقاً (مما قضيت ويسلموا تسليما ) اي انقادوا لامرك

---

(١) ليس في البدريين من الانصار رجل اسمه حاطب بن ابي بلتعة وانما فيهم حاطب بن عمرو . كذا في هامش الاصل . ولكن لهذا القيل اصلا اخرجه ابن ابي حاتم من مراسيل سعيد بن المسيب وهي اقوى المراسيل قال نزلت في الزبير ابن العوام وحاطب بن أبي بلتعة وأخذ بهذه الرواية الثعلبي وعنه الواحدي وغيرهما وعند بنا لرواية البخاري عن عروة عن عبد الله بن الزبير انه حدثه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير عند النبي ( ص ) في شراج الحرة التي يسقون بها النخل الخ ولما كان حاطب هذا مهاجريا أنصاريا قال بعض العلماء في توجيه الجمع بين الروايتين انه كان حليفا للانصار وقد سمى هذا الانصاري بعض الرواة باسماء اخرى منها قول الواحدي انه ثعلبة بن حاطب وقال بعضهم انه كان من المنافقين والصواب الاكتفاء باتهامه كما فعل البخاري

( ٢ ) صواب هذه الكلمة الشراج ككتاب وهو مفرد جمعه شراج وشروج كبحار وبحور وهي مسائل الماء التي اختصم فيها الزبير مع الانصاري ولم تذكر هنا ولعلها سقطت من قلم النساخ

وقال ﷺ « وكل ماليس عليه أمرنا فهو رد » (١) وقال ﷺ « إياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » اي صاحبها فلا يعبد الله إلا بما شرع على لسان نبيه ﷺ .

ومعنى لاإله إلا الله توحيده في عبادته مع التبرىء من كل معبود سواه كما أخبر الله عن نبيه ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى ( إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني ) وهذا هو الذي تضمنه قول لاإله إلا الله. فانما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها والعمل به لا بمجرد قولها باللسان . ومعناها هو افراد الله بالالهية والعبادة والنفي لما يعبد من دونه ، والبراءة منه كما حكى الله عن ابراهيم عليه السلام ( إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني ) وقال ﷺ « من قال لاإله إلا الله وكفر بما يعبد من دونه حرم ماله ودمه وحسابه على الله » رواه مسلم . فحينئذ من لايكفر بكل معبود سوى الله لايحرم دمه وماله ولايكون مسلما بمجرد التلفظ بلا إله الا الله إلا إذا أضاف اليها الكفر بما يعبد من دون الله ولا بمعرفة معناها مع التلفظ بها بل ولا كونه لايدعو إلا الله ، ولم يكفر بما يعبد من دون الله لم يكن مسلما بذلك فلا يحرم ماله ودمه فهذا أصل لامرية فيما تضمنه ولا شك فيه ، وانه لايتم إيمان أحد حتى يعلمه ويعمل به

(فان قيل) قد أنكر ﷺ على اسامة قتله لمن قال لاإله إلا الله ؟

( فالجواب ) انه لاشك ان من قال لاإله الا الله من الكفار حقن دمه وماله حتى يتبين منه مايخالف ماقاله ، ولذا أنزل الله في قصته ( ياايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ) الآية فان تبين التزامه لمعناها وهو افراد الالهية والعبودية لله تعالى كان له ماللمسلمين وعليه ماعليهم . وان تبين خلافه لم يحقن

(١) المعروف من رواية البخاري ومسلم من حديث عائشة وغيرهما « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »

بمجرد التلفظ ماله ودمه ، وهكذا كل من أظهر التوحيد وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه مايخالف ذلك .

واعلم ان التوحيد قسمان ، القسم الاول توحيد الربوبية والخالقية ونحوها ، ومعناه ان الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب لهم والرازق لهم ، وهذا لاينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكا ، بل هم مقرون به كما أخبر الله عنهم في غير موضع من كتابه والقسم الثاني توحيد العبادة ومعناه افراد الله وحده بجميع انواع العبادة الآتي بيانها فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاء ، ولفظ شريك يشعر بالاقرار بالله تعالى

فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الاول ، ودعاء المشركين لله عند قولهم في خطاب المشركين ( أفي الله شك؟ * هل من خالق غير الله؟ ) ولنهيهم عن شرك العبادة ، وكذلك قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله) أي قائلين لامهم ( أن اعبدوا الله ) وحده (واجتنبوا الطاغوت ) وهو كل مايعبد من دون الله ، فأفاد بقوله تعالى (في كل أمة) ان جميع الامم لم ترسل اليهم لرسل وتبعث إلا بطلب توحيد العبادة لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم وانه رب السموات والارض ، فانهم مقرون بذلك ، ولهذا لم ترد الآيات في الغالب إلا بصيغة استفهام التقرير نحو ( هل من خالق غير الله * أفمن يخلق كمن لايخلق * أفي الله شك فاطر السموات والارض * أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والارض * أروني ماذا خلق الذين من دونه * أروني ماذا خلقوا من الارض) استفهام تقرير لهم لانهم به مقرون ،

وبهذا يعرف ان المشركين لم يتخذوا الاوثان والاصنام ولم يعبدوها ولم يتخذوا المسيح وأمه ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى في خلق السموات والارض وفي خلق أنفسهم ، بل اتخذوهم أولياء يقربونهم الى الله زلفى كما قالوه. فهم مقرون بالله تعالى في نفس كلمات كفرهم وانهم شفعاء عند الله تعالى ( قل

أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) فجعل سبحانه وتعالى اتخاذهم للشفعاء شركا ونزه نفسه عنه لانه لا يشفع عنده أحد إلا باذنه، فكيف يثبتون شفعاء لم يأذن الله لهم في الشفاعة ولا يغنون عنهم من الله شيئا ؟

## ﴿ فصل في أنواع العبادة الاربعة ﴾

( ودعوة الرسل كلهم الى جعلها كلها لله وحده )

والعبادة أنواع : اعتقادية - وهي أساسها - وذلك أن يعتقد انه الرب الواحد الأحد الذي له الخلق والامر، وبيده النفع والضر، وانه الذي لا شريك له ولا يشفع عنده أحد إلا باذنه، وانه لا معبود بحق إلا هو، وغير ذلك مما يجب له من لوازم الالهية . ومنها لفظية وهي النطق بكلمة التوحيد ، فمن اعتقد ما ذكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله . وكان كابليس ، فانه يعتقد التوحيد بل ويقر به ولم يمتثل أمر الله بالسجود فكفر ، ومن نطق ولم يعتقد حقن ماله ودمه وحسابه على الله وحكمه حكم المنافقين. وبدنية كالقيام والركوع والسجود في الصلاة، ومنها الصوم وافعال الحج والطواف . ومالية كاخراج جزء من المال امتثالا لما أمر الله تعالى به .

وأنواع الواجبات والمندوبات في الابدان والاموال والافعال والاقوال كثيرة ، لكن هذه أمهاتها ،

واذا تقررت هذه الامور فاعلم ان الله تعالى بعث الانبياء عليهم السلام من أولهم الى آخرهم يدعون العباد الى افراد الله بالعبادة ، لا الى اثبات انه خلقهم ونحوه إذ هم مقرون بذلك كما ذكرناه ولم يعبدوا الاصنام بالخضوع لهم والتقرب بالنذور والنحر لهم إلا لاعتقادهم انها تقربهم الى الله وتشفع لهم لديه ، فأرسل الله الرسل تأمرهم بترك عبادة كل ماسواه وان هذا الاعتقاد الذي يعتقدونه في الانداد باطل والتقرب اليهم باطل وان ذلك لا يكون إلا لله وحده وأمر عباده أن يقولوا ( إياك نعبد)

ولا يصدق قائل هذا إلا اذا أفرد العبادة لله وإلا كان كاذبا منهياً عن ان يقول هذه الكلمة إذ معناها نخصك بالعبادة ونفردك بها وهو معنى قوله ( فاياي فاعبدون * واياي فاتقون ) لما عرف من علم البيان ان تقديم ماحقه التأخير يفيد الحصر اى لاتعبدوا إلا الله ولا تعبدوا غيره ، ولا تتقوا إلا الله ولا تتقوا غيره كما في الكشاف

فافراد الله تعالى بتوحيد العبادة لايكون إلا بان يتم جميعها كلها له ،والنداء في الشدائد والرجاء لايكون الا لله وحده ، والاستغاثة والاستعانة بالله وحده ، واللجأ الى الله والنذر له والنحر له وجميع أنواع العبادة ، ومن يفعل شيئاً من ذلك لمخلوق من حي أو ميت أو جماد فقد أشرك في العبادة وصار من يفعل له هذه الامور إلها لعابديه ،سواء كان ملكا او نبيا او وليا او شجراً او قبراً او جنياً. وصار بهذه العبادة او بأي نوع منها عابداً لذلك المخلوق ، وإن أقر بالله وعبده فان اقرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونهب أموالهم، فان الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك لايقبل عملا شورك فيه غيره ولا يؤمن به عبد عبد معه غيره كما أخرجه مسلم من حديث ابى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «يقول الله انا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه »

وقد عرفت من هذا كله ان من اعتقد في شجر او حجر او قبر او ملك او حي او ميت انه ينفع او يضر ، وانه يقرب إلى الله او يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به إلى الرب تعالى ـ الا ماورد في حديث فيه مقال في حق نبينا صلى الله عليه وسلم او نحو ذلك ـ فانه قد أشرك مع الله غيره واعتقد مالا يحل اعتقاده ـ لقوله تعالى ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً )

وعن أنس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة» (١)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال من اراد ان ينظر إلى وصية محمد ﷺ فليقرأ ( قل تعالوا أتل ماحرم عليكم ربكم ان لا تشركوا به شيئاً — إلى قوله — وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون )

وعن معاذ بن جبل قال كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال « يامعاذ أتدري ماحق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ » قلت الله ورسوله أعلم، قال ﷺ « ان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ،وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » قلت يارسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال « لا تبشرهم فيتكلوا » أخرجاه في الصحيحين

## فصل

( في الشرك الاكبر بدعاء غير الله عز وجل )

ومما تساهل فيه الناس من أنواع العبادة دعاء المسألة الذي أخبر الله بسبحانه وتعالى عن موسى وهارون بقوله تعالى ( ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا، ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ) قال العلي العظيم ( قد أجيبت دعوتكما ) أي ماسألتماه ( فاستقيما ) على دعوة الله إلى ان يأتيهم العذاب

وأخبر سبحانه وتعالى عن زكريا عليه السلام بقوله ( كهيعص * ذكر رحمة ربك عبده زكريا * اذ نادى ) أي دعا ( ربه نداءاً خفيا ) اى دعا الله سراً في

(١) رواه الترمذي وحسنه : والحاكم :وقال صحيح الاسناد

قومه ( قل رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً ) وأخبر سبحانه وتعالى عن أيوب عليه السلام بقوله (وأيوب اذ نادى ربه ) أى دعاه ( اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين * فاستجبنا له فكشفنا مابه من ضر ) وقال تعالى ( ادعوني أستجب لكم )

قال الجمهور: هو أمر بالدعاء الذي هو أخص من العبادة لقوله تعالى (أستجب لكم ) وقيل انه أمر بالعبادة التي هي أعم من الدعاء لقوله تعالى ( ان الذين يستكبرون عن عبادتي ) فاجيب عن ذلك بان الدعاء اعتراف بالعبودية والذلة والمسكنة فما يتركه إلا مستكبر عن اظهار العبودية ، ولما عبر عن العبادة بالدعاء جعل لاثابة استجابة .

وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر «الدعاء هو العبادة »ثم قرأ ( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم * ان الذين يستكبرون عن عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ) أي صاغرين، أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح ، وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « انه من لم يسال الله يغضب عليه» أخرجه الترمذي ، وعنه عن النبي ﷺ قال «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » أخرجه الترمذي

فاذا استكملت شروط الدعاء حصلت الاجابة قطعاً للوعد الحق ، ولما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ « مامن رجل يدعو الله إلا استجاب له إما أن يعجله له في الدنيا وإما أن يدخره له في الآخرة وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر مادعا، مالم يدع بأثم أو قطيعة رحم أو يستعجل » قالوا يارسول وكيف يستعجل؟ قال « يقول دعوت ولم يستجب لي» وقال تعالى ( وإذا سألك عبادي عني فاني قريب ) قال ابن عباس ، قال يهود المدينة : يا محمد ، كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام ، وغلظ

كل سماء خمسمائة عام ؟ فنزلت هذه الآية (١) وقيل سأل بعض الصحابة النبي ﷺ : أقريب ربنا فنناجيه او بعيد فنناديه ؟ فنزلت هذه الآية بقوله ( اني قريب ) اي بالعلم لا يخفى عليه شيء .

وقال تعالى ( أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ) اي المكروب من مرض وبلاء ونازلة من نوازل الدهر فاذا نزلت باحد نازلة بادر إلى الالتجاء والتضرع إلى الله تعالى ، فيجيب دعوته فيكشف ما به من مرض وكرب وبلاء لانه لايقدر على تغير الحال من فقر إلى غنى ، ومن مرض إلى صحة ، ومن ضيق إلى سعة ، إلا القادر الذي لايعجز ، والقاهر الذي لايغلب ( ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله ) تدعونه في جلب النفع وكشف الضر ( قليلا ماتذكرون ) أي تتعظون

وقال صاحب الكشاف : الاضطرار الحال المحوجة الى الالتجاء ، اضطره إلى كذا ، والفاعل والمفعول مضطر (٢) وهو من أصابه مرض او فقر او نازل نزل به أحوجه الى التضرع إلى الله وقال السيد الذي لاحول له ولا قوة ، والخلاف لفظي

وقال تعالى ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ) اي ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم فانهم (لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) من خير وشر ( وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ) اي لاشريك ولا معين (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ) تكذيباً لهم حيث قالوا ( هؤلاء شفعاؤنا عند الله )

وقال تعالى ( والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ) القشرة الرقيعة التي على النواة ( ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ) على سبيل الفرض والتقدير لان لو حرف امتناع ( ما استجابوا لكم ) أي ما أجابوكم فيما

---

(١) هذا الحديث لا يصح بل هو من الاسرائيليات

(٢) يعني ان لفظ اسم الفاعل والمفعول واحد لايظهر الفرق بينهما في النطق لسبب الادغام

سألتموهم (وبوم القيامة يكفرون بشرككم) اي يتبرءون منكم ، ومن دعائكم ،( ولا ينبئك مثل خبير )

وقال تعالى ( قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ) وذلك ان المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعو لهم فقال الله عز وجل ( قل ) للمشركين (ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم - اي الجوع والقحط - ولا تحويلا ) الى غيركم

والمقصود من الآية حيث قالوا : ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد هؤلاء المقربين إلى الله وهم الملائكة، ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالا وصورة واشتغلوا بعبادته ،فاحتج على بطلان قولهم بهذه الآية، ثم قال تعالى ( أولئك الذين يدعون ) يعني الذين يدعوهم المشركون ( يبتغون إلى ربهم الوسيلة ) أي القربة والدرجة العليا قال ابن عباس : هم عيسى وأمه والعزير والملائكة . وقال ابن مسعود : نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم اولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فغيرهم الله من حال الى حال ، وأنزل هذه الآية . وقوله تعالى ( أيهم أقرب) معناه ي ينظرون أيهم أقرب الى الله فيتوسلون به ، وقيل أيهم أقرب يبتغي الوسيلة الى الله بالعمل الصالح ، وعليه الا كثرون ( ويرجون رحمته) اي جنته ( ويخافون عذابه) ناره كغيرهم ، فاذا كان الملائكة والمسيح والعزير لايقدرون على كشف الضر وجلب النفع فكيف بغيرهم ؟

وقال تعالى ( ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ) ان عبدته بشيء من أنواع العبادة ( ولا يضرك) ان تركت عبادته ( فان فعلت )ما نهيتك عنه فعبدت غيري او طلبت النفع وكشف الضر من غيري ( فانك اذاً من الظالمين) فهذا الخطاب وان كان للنبي ﷺ فالمراد به غيره، لانه ﷺ لم يدع من دون الله شيئا البتة . فعلى

هذا المعنى المراد : ولا تدع من دون الله أيها الانسان مالا ينفعك ولا يضرك .

وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) يعني الاصنام لا تجيب دعاء عابديها فيما يسألونها (الى يوم القيامة) أي لا تجيبهم (وهم عن دعائهم غافلون) اى لا يسمعون ولا يفهمون ( واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ) اى جاحدين ، وكل من دعا من دون الله فيما لا يقدر عليه الا الله فقد أشرك ، لان الدعاء اعتراف بالعبودية ، فبدعائه له صيره الهاً .

وقال تعالى ( له دعوة الحق ) يعنى دعوة الصدق ، وقال علي : دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس : دعوة الحق شهادة أن لا اله الا الله ، والخلاف بينهما لفظي .وقال صاحب الكشاف دعوة الحق فيها وجهان ( أحدها ) أن تضاف الدعوة الى الحق الذى هو نقيض الباطل على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به ، وانها بمعزل عن الباطل ،والمعنى ان الله يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله ( والوجه الثاني) أن تضاف الدعوة الى الحق الذى هو الله على معنى دعوة الحق الذى يسمع ويجيب . وعن الحسن انه الحق وكل دعاء اليه دعوة الحق .

(والذين يدعون من دونه) أى يدعونهم من دون الله (لا يستجيبون لهم بشيء) أي لا يجيبونهم فيما يسألونه منهم من نفع ودفع ضر اذا دعوهم (الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) يعني ان استجابتهم لهم كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه ، وكذلك مايدعونه جماداً لا يحس دعاءهم ولا يستطيع اجابتهم ، وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيده ليشرب به فبسطهما ناشراً أصابعه لا يكون منه في يده شيء ، كذلك الذي يدعو الاصنام بانها لا تضر ولا تنفع ولا بيده منها شيء. وقال مجاهد: كالعطشان الذي يرى الماء بعينه من بعيد وهو يشير بكفيه الى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبداً ، وقال عطاء : كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يده الى الماء فلا هو يبلغ

الماء ، ولا الماء يرتفع اليه، فلا ينفعه بسط الكف الى الماء ودعاؤه له ، كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم دعاؤهم ، وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه الى الماء لا ينفعه ذلك مالم يغرف ولا يبلغ الماء فاه مادام باسطا كفيه الى الماء (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أى كل مدعو سواه يضل عمن دعاه اذا احتاج اليه ، وقال ابن عباس: ان اصواتهم محجوبة عن الله تعالى ، وهذا مثل ضربه الله لمن يدعو غيره فيما لا يقدر عليه إلا هو سبحانه وتعالى

وقال تعالى ( ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ) أي ملك لله أمثالكم لا يملكون لانفسهم شيئا ، فالذي لا يملك لنفسه شيئا من نفع كيف يتصور في حقه النفع لغيره ( فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) في دعواكم ، وقال تعالى (قل أرأيتكم ) يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين تركوا عبادة الله وحده وعبدوا معه غيره من الاصنام : اخبروني ـ تقول أرأيتك ، يعني اخبرني بحالك ـ وأصله أرأيتم ، والكاف للتأكيد ( إن أتاكم عذاب الله) قبل الموت مثل ما نزل بالامم الماضية من الغرق والخسف والصواعق ونحو ذلك من العذاب ( أو أتتكم الساعة) أي القيامة ( أغير الله تدعون ) في كشف العذاب عنكم (ان كنتم صادقين )في دعواكم

ومعنى الآية ان الكفار اذا نزل بهم بلاء وشدة رجعوا الى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الاصنام ، فقيل لهم أترجعون الى الله في حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه وتطيعونه في اليسر والرخاء ، (بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه إن شاء) من الضر الذي من أجله دعوتموه ، وانما قيد الاجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة ، وان كانت جميع الامور بمشيئة سبحانه وتعالى ( وتنسون ما تشركون) أى تتركون دعاء الاصنام التي تدعونها لانها لا تضر ولا تنفع ، وقيل المعنى تركتم دعاء الاصنام بمنزلة من قد نسيها وهذا قول الحسن، فقد نفى الله عما سواه مايتعلق به المشركون من دعاء غيره من أن يكون له شرك في مثقال ذرة من نفع أو ضر

كما قال لنبيه وخليله (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ماشاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وقال (قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى مايفعل بي ولا بكم) وقال ﷺ في حديث ابن مظعون «مايدرى مايفعل به » وفي رواية «مايفعل بي وأنا رسول الله»

وفي الصحيح عن أنس قال: شج النبي ﷺ يوم أحد فقال« كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟»فنزلت عليه ( ليس لك من الامر شيء ) وفيه عن ابن عمر انه سمع النبي ﷺ يقول اذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر « اللهم العن فلانا وفلانا ـ بعد مايقول ـ سمع الله لمن حمده » فأنزل الله عليه (ليس لك من الامر شيء ) ولما نزل عليه ﷺ ( وأنذر عشيرتك الاقربين) صعد الى الصفا فقال « يامعشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا ، وياعباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، وياصفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، ويافاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا سليني من مالي » فاذا كان سيد الاولين والآخرين ، وامام المتقين ، وحبيب رب العالمين، لايملك لنفسه ولا لاقاربه نفعاً ولا ضرا ، فكيف بغيره ممن لايعلم حاله مع ربه ولا مصيره الى نعيم أو جحيم؟

فان كان قيل فيمن عبد الملائكة وعيسى وأمه والله يقول ( انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)

قال ابن القيم :في هذه الآية دليل على جواز الخطاب العام وارادة الخاص من غير بيان تفصيلي ولا اجمالي فان لفظة« ما »عام يشمل المعبودين سوى الله ولم يرد العموم مع تأخير بيان المخصص، فانه لما نزلت هذه الآية قال ابن الزبعرى والله لألزمن محمداً بهذه الآية ،فحضر عند النبي ﷺ وقال لقد عبدت الملائكة وعبد عيسى، فيجب ان يكون هؤلاء حصب جهنم وهو خلاف دينك يامحمد ،

فسكت رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه، فنزل بعد حين ( إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ) فقد أطلق العام مع ارادة الخاص وبين بعد حين.

واعترض على هذا الدليل بانا لانسلم احتياج الآية إلى البيان، وانما تحتاج اليه لو دخلت الملائكة وعيسى في عموم الآية وهو ممنوع ،لان« ما» لغير من يعقل فلا تتناول الملائكة ولا عيسى. ولهذا نقل في بعض الروايات ان النبي ﷺ قال لابن الزبعرى « ماأجهلك بلغة قومك أما علمت ان « ما » لما لايعقل و « من » لمن يعقل ؟ (١) وانما نزلت ( إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ) زيادة بيان لجهل المعترض لابيانا للآية السابقة

وإن سلم ان كلمة ( ما) تشملهم فلا تحتاج الآية إلى البيان أيضاً لان العقل يحكم بخروجهم عن الآية لان تعذيب الملائكة وعيسى — بذنب الغير ، وهو عبادة الناس اياهم — غير جائز عقلا ، وانما يجوز تعذيبهم لو كانوا راضين بذلك وهو مستحيل في حقهم

## فصل

### في توحيد الاسماء والصفات والمذهب الصحيح في ذلك

فاذا عرفت ماتقرر من توحيد العبادة فاعلم بان ايماننا بما ثبت في نعوته تعالى كايماننا بذاته المقدسة، إذ الصفات تابعة للموصوف فنعقل وجود الباري ونميز ذاته المقدسة عن الاشباه من غير ان نعقل الماهية، فكذلك القول في صفاته ، نؤمن بها ونعقل وجودها ونعلمها في الجملة من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تشبيه ولا تعطيل، ونقول كما قال السلف الصالح : آمنا بالله على مراد الله و (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ) فالاستواء معلوم من الكتاب العزيز ( الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد )

وكل ما وصف الله به نفسه وجب الايمان به كما يجب الايمان بذاته والكيف

(١) هذا ليس عليه طلاوة كلام الرسول ﷺ

مجهول فيها لاستحالة تصوره ، لقوله تعالى ( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ) ومن ليس له مثل لا يمكن التصور في ذاته وصفاته لا شرعا ولا عقلا

ومن أول فقد تصور المستحيل في حقه سبحانه وتعالى من المشابهة للحوادث فما وسعهم مما تصوروه من التشبيه الواقع في أذهانهم إلا الفرار منه الى التعطيل

فأولوا اليدين بالقدرة وقد أثبت الله لنفسه يداً وقدرة ، وأولوا الاستواء بالاستيلاء المفيد للتجدد والحدوث في الملك وهو مستحيل في حقه سبحانه وتعالى وعطلوا صفتين من صفاته وقد قال تعالى ( إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش ) وقال تعالى ( وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ) وقال تعالى ( الرحمن على العرش استوى ) وقال تعالى ( الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن ) الى غير ذلك من آيات الاستواء

وقال تعالى ( ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين ) وقال تعالى ( ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ) وقال تعالى ( يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون )

وقال تعالى ( اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ) وقال تعالى ( اني متوفيك ورافعك إلي ) وقال تعالى ( وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه ) وقال تعالى في الملائكة ( يخافون ربهم من فوقهم ) وقال تعالى ( ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه )

وقال تعالى (وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب، أسباب السموات فأطلع الى إله موسى ) وقال تعالى ( أأمنتم من في السماء ) في بمعنى على كقوله تعالى ( فسيحوا في الارض) وقوله ( لاصلبنكم في جذوع النخل ) أي على

الارض وعلى جذوع النخل. وكذلك في السماء أي على العرش فوق السماء الى غير ذلك من نصوص القرآن العظيم جل منزله وتعالى قائله

وأما السنة فمن الاحاديث الواردة في العلو حديث معاوية ابن الحكم السلمي قال: كانت لي غنم بين أحد والجوانية فبها جارية لي، فاطلعت ذات يوم فاذا الذئب قد ذهب منها بشاة .وأنا رجل من بني آدم فأسفت، فصككتها فأتيت الى النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فعظم ذلك عليَّ، فقلت يارسول الله أفلا أعتقها؟ قال «ادعها» فدعوتها، فقال لها « أين الله ؟ » قالت في السماء، قال « من أنا » قالت انت رسول الله ﷺ قال « اعتقها فانها مؤمنة » هذا حديث صحيح اخرجه مسلم وابو داود والنسائي وغير واحد من الائمة في تصانيفهم،

وقال عطاء بن يسار : حدثني صاحب الجارية نفسه قال : كانت لي جارية ترعى الحديث، وفيه فمد النبي ﷺ يده اليها مستفهما «من في السماء ؟ » قالت الله، قال « فمن أنا ؟ » قالت انت رسول الله، قال « اعتقها فانها مسلمة » وقال النسائي في تفسيره في قوله تعالى ( ثم استوى الى السماء ) أنبأنا قتيبة عن مالك عن هلال ابن اسامة عن عمر بن الحكم قال :اتيت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله إن جارية لي كانت ترعى غنما لي فجئتها فقدت شاة من الغنم سألتها عنها فقالت أكلها الذئب، فأسفت عليها وكنت رجلا من بني آدم، فلطمت وجهها وعلي رقبة وأعتقها؟ فقال لها رسول الله ﷺ « اين الله؟ » قالت في السماء، قال« فمن انا» قالت انت رسول الله، قال « فاعتقها » كذا سماه مالك عمر بن الحكم

وعن ابي هريرة قال جاء رجل الي رسول الله ﷺ بجارية اعجمية فقال يارسول الله إن علي رقبة مؤمنة فأعتق هذه ؟ فقال لها « أين الله ؟ » فأشارت الى السماء، قال فمن «انا» فأشارت الى رسول الله ﷺ ثم الى السماء قال« أعتقها فانها مؤمنة »

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء رجل الى النبي ﷺ ومعه جارية سوداء أعجمية فقال علي رقبة فهل تجزيء هذه عني ؟ فقال « أين الله؟» فأشارت بيدها الى السماء ، فقال « من أنا ؟ » قالت أنت رسول الله ، قال «اعتقها فانها مؤمنة »

حديث اسامة بن زيد الليثي عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال جاء حاطب الى رسول الله ﷺ بجارية له فقال يارسول الله إن علي رقبة فهل تجزيء هذه عني ؟ فقال لها رسول الله ﷺ « من أنا » قالت أنت رسول الله قال « فأين ربك » فأشارت الى السماء ، قال «اعتقها فانها مؤمنة» وهو مرسل

حديث جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ قال في خطبة يوم عرفة «الا هل بلغت» فجعل يرفع أصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول « اللهم اشهد » أخرجه مسلم

وحديث أبي هريرة : ان رسول الله ﷺ قال « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم ، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون » متفق عليه .

وعن أبي رزين العقيلي قال: قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض ؟ قال « كان في عماء » قال ابو عبيد: العماء الغمام ، وقال خالد ابن يزيد الرازي : اخطأ ابو عبيد انما العمى مقصور ولا يدري أين كان الرب تعالى ، وقيل معناه مقصوراً لا شيء معه فوق هواء وما تحته هواء ، ثم خلق العرش ثم استوى عليه ، رواه الترمذي وابن ماجه واسناده حسن

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله ﷺ قال «الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » أخرجه ابو داود والترمذي

وعن عبد الله بن مسعود « ارحم من في الارض يرحمك من في السماء »

وعن أنس ان زينب بنت جحش كانت تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول : « زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات » وفي لفظ : انها قالت للنبي ﷺ « زوجنيك الرحمن من فوق عرشه » أخرجه البخاري

وعن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء؟ » متفق عليه .

وعن ابي هريرة ان رسول الله (ص) قال « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها زوجها » أخرجه مسلم

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) لما ألقي ابراهيم عليه السلام في النار قال « اللهم انك واحد في السماء وأنا في الارض واحد أعبدك » هذا حديث حسن الاسناد

وعن عبادة بن الصامت ان رسول الله ( ص) كان يقول « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام الى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت حفظك الله كما حفظتني ثم صعد بها الى السماء ولها نور وضوء وفتحت لها ابواب السماء حتى ينتهى بها الى الله عز وجل فتشفع لصاحبها »

وعن ابي هريرة عن النبي (ص) قال « ان الميت يحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ابشري بروح وريحان ورب غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها الى السماء التي فيها الله تعالى » رواه احمد في مسنده والحاكم في مستدركه وهو على شرط البخاري ومسلم

وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « بينا اهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فيرفعون رءوسهم فاذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم فقال : السلام عليكم

ياأهل الجنة فذلك قوله عز وجل ( سلام قولا من رب رحيم ) » أخرجه ابن ماجه في سننه

وعن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ـ ولا يصعد إلى الله الا طيب ـ فانه يقبلها بيمينه ويربيها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل » أخرجه البخاري

وعن أبي موسى الاشعري قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله لاينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور — وفي رواية النار — لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » أخرجه الشيخان .

وقال ﷺ لحصين « كم تعد لنفسك من إله ؟ » : قال سبعة ستة في الارض وواحد في السماء قال « فأيهم تعد لرهبتك ورغبتك ؟ » قال الذي في السماء فقال له ﷺ أما انك لو أسلمت لعلمتك كلمتين ينفعانك » فلما أسلم حصين قال له « قل اللهم ألهمني رشدي وعافني من شر نفسي » أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد

وروى الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: ان رحمتي تغلب غضبي » وفي رواية للبخاري « إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش: ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش »

وفي رواية لهما « ان الله لما خلق الخلق » وعند مسلم « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع عنده » زاد البخاري « على العرش » ثم اتفقا « ان رحمتي تغلب غضبي »

وعن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من اشتكى منكم أو اشتكي أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض

كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الارض ، واغفر لنا حوبنا وخطايانا، انت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ » أخرجه ابوداود

وهكذا حال من يسأل: أين الله يبادر بفطرته ويقول في السماء ففي الخبر مسئلتان

( أحدهما ) قول السائل أين الله ؟ ( وثانيها ) قول المسئول : في السماء ، فمن أنكر هاتين المسئلتين فانما ينكر على رسول الله ﷺ لانه قالهما وأقرهما من غيره. والعياذ بالله من الاعراض عما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله

ولم تخبر الرسل بما تستحيله العقول بل اخبارهم قسمان

( أحدهما ) مايشهد به العقل والنظر

( والثاني ) مالا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر ، وتفاصيل العقاب والثواب ، ولا يكون خبرهم محالا في العقول أصلا ،

وكل خبر تظن ان العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين : اما لعدم صحة في النقل او لفساد في العقل والعقل الصحيح لا يخالف النص الصريح

واختلف السلف في الاستواء فقال قوم : استوى بمعنى استقر ، ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه البيهقي في الاسماء والصفات وهو استقرار يليق بذاته

وقال آخرون منهم سفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك وغيرهم من علماء السلف: اقرارها وامرارها كما جاءت بلا كيف . وقال البغوي، اهل السنة يقولون : الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الانسان الايمان به ويكل العلم به الى الله عز وجل

وروى البيهقي بسنده عن عبدالله بن وهب قال : كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبدالله ( الرحمن على العرش استوى ) كيف استوى ؟ قال

فاطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال ( الرحمن على العرش استوى ) كما وصف نفسه ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه ،فأخرج الرجل

وفي رواية يحيى قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبدالله ( الرحمن على العرش استوى ) كيف استواؤه ، فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال :الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا

وقال تعالى ( كل شيء هالك إلا وجهه ) وقال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ) وقال ( وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله ) وقال ( انما نطعمكم لوجه الله ) وقال ( والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ) وقال (إلا ابتغاء وجه ربه الاعلى ) وقال ( يريدون وجهه )

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله قال : لما نزل على النبي ﷺ ( قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت أرجلكم ) قال «أعوذ بوجهك ( او يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض ) قال هاتان أهون وأيسر»

وروى البخاري عن أبي موسى الاشعري قال : قال النبي ﷺ « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وأن ينظروا الى وجه ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »

وروى البخاري عن عتبان بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « حرم الله على النار ان تأكل من قال لاإله الا الله يبتغي بها وجه الله »

وروى مسلم عن سعد بن ابي وقاص قال : كنا مع رسول الله ﷺ ونحن ستة نفر فقال المشركون:اطرد هؤلاء عنك لايجترئون علينا ، وكنت وعبد الله ابن مسعود ـ أظنه قال وبلال ورجل من هذيل ورجلان قد نسيت اسمهما ـ فوقع

في نفس النبي ﷺ ماشاء الله أن يحدث به نفسه فأنزل الله عز وجل ( ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ) الآية

وقال تعالى ( يا ابليس مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدي ؟) وقال ( وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء )

وروى الشيخان عن أنس بن مالك ان نبي الله ﷺ قال « يجمع المؤمنون يوم القيامة فيهتمون لذلك فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت ابو الناس خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا الى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا» وذكر الحديث بطوله

وروى البخاري عن ابي هريرة قال : أتي رسول الله ﷺ يوما بلحم فدفع اليه الذراع و كانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال «أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون لم ذلك ؟» قال فذكر حديث الشفاعة وفيه« فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت ابو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ـ أظنه قال ـ وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا الى ربك »

وروى البخارى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « احتج آدم وموسى ، فقال موسى أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه » الخ

وروى البخارى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «احتج آدم وموسى فقال موسى لآدم أنت ابونا جئت وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وخط لك في الالواح بيده »الخ

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « خلق الله جنات عدن وغرس أشجارها بيده ، فقال لها تكلمي فقالت ( قد أفلح المؤمنون ) »

وعن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كتب ربكم تبارك وتعالى على نفسه بيده قبل أن يخلق الخلق: ان رحمتي سبقت غضبي »

وعن ابن عمر قال «خلق الله أربعة اشياء بيده ، العرش، وجنات ، عدن، وآدم والقلم . واحتجب من الخلق باربعة، بنار، وظلمة، ونور، فظلمة » .

وقد تكون اليد في غير هـذه المواضع بمعنى القوة ، قال الله تعالى ( واذكر عبدنا داود ذا الأيد ) أى ذا القوة ، وقد تكون بمعنى النعمة . تقول العرب : كم يد لي عند فلان ، أى كم من نعمة لي قد اسديتها اليه ، وقال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ) وقال ( ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين )

وعن ابي هريرة عن النبي (ص) قال « يقبض الله تبارك وتعالى الارض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك ، أين ملوك الارض » رواه البخارى . وروى مسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبي (ص) قال «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين »

وعن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) « لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله، فحمد الله باذن الله ، فقال له ربه: رحمك ربك يا آدم وقال له يا آدم اذهب الى أولئك الملائكة الى ملأ منهم جلوس فقل السلام عليكم فذهب وسلم قالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . ثم رجع الى ربه ، فقال هذه تحيتك وتحية بنيك . فقال الله تبارك وتعالى له — ويداه مقبوضتان — أيهما شئت . فقال اخترت يمين ربي وكلتا يدى ربي يمين مباركة ، ثم بسطها فاذا فيها آدم وذريته » وذكر الحديث

وسئل عمر بن الخطاب عن قوله تعالى ( واذ اخـذ ربك من بني آدم من

ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى ) الآية . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله (ص) سئل عنها فقال رسول الله ﷺ «خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره واستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » فقال رجل يارسول الله ففيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ «إن الله اذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة ، واذا خلق الرجل للنار استعمله بعمل اهل النار فيدخله به النار»

وعن هشام بن حكيم ان رجلا اتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أنبتدأ الاعمال ام قد قضي القضاء ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الله أخذ ذرية بني آدم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار ، فأهل الجنة ميسرون لعمل اهل الجنة ، واهل النار ميسرون لعمل اهل النار »

وروى مسلم عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ماتصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله الا الطيب إلا اخذها الرحمن بيمينه ، وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله » وقال ﷺ « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا طيب ، فان الله عز وجل يتقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى يكون مثل أحد » أخرجه البخاري

وروى البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، ارايتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض؟ فانه لم ينقص مما في يمينه ـ قال ـ وعرشه على الماء وبيده الاخرى القسط يرفع ويخفض »

وروى مسلم عن عبدالله بن مسعود قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اهل الكتاب فقال: يا ابا القاسم، ابلغك ان الله عز وجل يجعل السموات على اصبع والارضين على اصبع ،والشجر على اصبع ،والثرى على اصبع ،والخلائق على اصبع؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فانزل عز وجل( وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه)

وروى البخاري عن عبدالله بن مسعود قال جاء حبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أو يارسول الله ،ان الله جعل السموات على اصبع ،والارضين على اصبع ،والجبال على اصبع ،والشجر على اصبع ،والماء والثرى على اصبع ،وسائر الخلق على اصبع فيهزهن ويقول انا الملك . قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر. ثم قرأ( وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ) الخ

وروى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال جاء حبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يضع السماء على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يقول انا الملك فضحك رسول الله ﷺ وقال (ماقدروا الله حق قدره) وفي رواية والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع يهزهن وفيه ان رسول الله [ ص ] ضحك حتى بدت نواجذه عجبا وتصديقا له ثم قرأ ( وما قدروا الله حق قدره ) الآية

وروى الشيخان عن ابن عمر قال قال رسول الله [ص] «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم ياخذهن بيمينه ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المستكبرون ، ثم يطوى الارضين بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون؟» وفي رواية يقول « ان الله يقبض اصابعه ويبسطها ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ؟ » وفي رواية يقول « انا الله ويقبض اصابعه ويبسطها ثم يقول انا

الملك حتي نظرت الى المنبر يتحرك من اسفله حتى اني اقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ » هذا لفظ مسلم والبخارى « ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه ويقول انا الملك »

وروى البخارى عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يقبض الله الارض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض » وقال [ص] « قلوب الخلائق بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء »

وروى البخارى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك وينزوى بعضها الى بعض »

وروى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله عز وجل للجنة: انما انت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادى، وقال للنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله فيها رجله فتقول قط قط قط، فهنالك تمتلئ وينزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً. وأما الجنة فان الله ينشيء لها خلقا » وقال تعالى ( هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ) وقال تعالى ( وجاء ربك والملك صفاً صفا ـ وقال تعالى ـ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة او يأتي ربك )

وقد ذكر الامام ابوجعفر ابن جرير هنا حديث الصور بطوله عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ وهو حديث مشهور وساقه غير واحد من أصحاب الاسانيد وغيرهم، وفيه « ان الناس اذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا الى ربهم بالانبياء واحدا بعد واحد ـ من آدم عليه السلام فمن بعده ـ فكلهم يحيدون حتى ينتهوا إلى

محمد (ص) فاذا جاوا اليه قال « أنا لها أنا لها » فيذهب ويسجد لله تحت العرش ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه الله ويأتي في ظلل من الغمام بعد ماتشقق السماء الدنيا وينزل مافيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة الى السابعة ، وتنزل حملة العرش والكروبيون ، وينزل الجبار عزوجل في ظلل من الغمام والملائكة، لهم زجل في تسبيحهم يقولون سبحان ذى الملك والملكوت ، سبحان ذى العرش والجبروت، سبحان الحي الذي لايموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت ، سبوح قدس رب الملائكة والروح قدوس قدوس سبحان ربنا الاعلى ، سبحان ذي السلطان والعظمة سبحانه أبدا أبدا»

وعن عبدالله بن عمرو في قوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ) الآية قال « يهبط حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون الف حجاب منها النور والظلمة والماء فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتاً تنخلع منه القلوب »

وعن ابن مسعود عن النبي (ص)قال « يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم ، قياما شاخصة ابصارهم إلى السماء ،ينظرون فصل القضاء ، وينزل لله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي » وعن مجاهد( في ظلل من الغمام )قال « هو السحاب ، ولم يكن قط إلا لبني إسرائيل في تيههم»

وقال ابوالعالية ( هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) فالملائكة يجيئون في ظلل من الغمام والله تعالى يجيء فيما شاء ، وهي في بعض القراءة ( هل ينظرون إلا ان يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام) وهي كقوله ( ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا )

وقال صلى الله عليه وسلم « ينزل ربنا إلى سماء الدنيا » الحديث . وقال الله تعالى ( قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ) وقال ( ولو ان مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده

من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله)وقال( وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ) ولم يقل حتى يرى خلق الله . وقال(يسمعون كلام الله ثم يحرفونه ) وقال ( يريدون ان يبدلوا كلام الله )وقال( اتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته )وقال(ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) قال (ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين )

وقال ( ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ) وقال( وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم جهنم من الجنة والناس أجمعين ) وقال ( إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم )وقال(وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا )

وروى البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال «تكفل الله عز وجل لمن جاهد في سبيله لايخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته أن يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع مانال من أجر وغنيمة»

وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي [ص] انه قال « تكلف الله لمن جاهد في سبيله لايخرجه من بيته الا جهاد في سبيله ، وتصديق كلمته بان يدخله الجنة او يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه مع مانال من أجر وغنيمة »

وعن أبي موسى الاشعري قال أتى النبي [ص] رجل فقال : يارسول الله، الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ،اى ذلك في سبيل الله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » رواه مسلم

وروى البخاري عن ابن عباس قال كان النبي [ص] يعوذ الحسن والحسين « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة» ثم يقول « كان أبوكما يعوذ بهما اسماعيل واسحاق »

وعن خولة بنت حكيم انها سمعت رسول الله [ص] يقول « اذا نزل أحدكم منزلا فليقل : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق ، فانه لايضره شيء حتى يرتحل منه »

قال يعقوب بن عبد الله عن القعقاع بن حكيم عن ذكوان عن أبي هريرة انه قال :جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله،مالقيت من عقرب لدغني البارحة ، قال« أما انك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق لم تضرك » رواه مسلم ومالك والترمذي

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع « بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، وشر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وان يحضرون » فكان عبدالله ابن عمرو يعلمها من بلغ من ولده ، ومن لم يبلغ كتبها وعلقها عليه

فاستعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر ان يستعاذ في هذه الاخبار بكلمات الله تعالى كما أمره الله جل ثناؤه أن يستعيذ به فقال (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * واعوذ بك رب ان يحضرون ) وقال ( فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ) ولا يصح أن يستعيذ المخلوق بالمخلوق فدل انه استعاذ بصفة من صفات ذاته وهي غير مخلوقة كما أمره الله ان يستعيذ بذاته وذاته غير مخلوقة

قال البيهقي روى ميسرة عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول عند مضجعه« اللهم اني أعوذ بوجهك الكريم ، وبكلماتك التامة من شر ماأنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم ، لايهزم جندك ، ولا يخلف وعدك ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، سبحانك وبحمدك»

فاستعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمات الله كما استعاذ بوجهه الكريم فكما ان وجهه الذى استعاذ به غير مخلوق فكذلك كلماته التي استعاذ بها غير

مخلوقة وكلام الله تعالى واحد ، وانما جاء بلفظ الجمع على معنى التفخيم والتعظيم

وهذه الآيات والاحاديث صريحة في ان المسموع كلام الله وانه قديم والقول هو الكلام قال الله عز وجل ( ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني ) وقال ( لقد حق القول على أكثرهم ) وقال ( مايبدل القول لدىّ ) وقال ( ومن أصدق من الله قيلا ) وقال ( ومن أصدق من الله حديثا ) وقال ( سلام قولا من رب رحيم ) وقال ( قوله الحق وله الملك ) وقال (فالحق والحق أقول) فأثبت الله جل ثناؤه لنفسه صفة القول في هذه الآيات

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا تهجد من الليل قال « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ، ولك الحمد أنت قيم السموات والارض ومن فيهن ، أنت الحق ووعدك الحق ، وقولك الحق ولقاؤك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت ، واليك أنبت وبك خاصمت ، واليك حاكمت ، فاغفر لي ماقدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي لا إله الا أنت »

وقد قال تعالى ( وكلم الله موسى تكليما ) فوصف نفسه بالتكليم وؤكده بالتكرار فقال تكليما وقال تعالى ( ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ) وقال ( تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ) وذكر في غير آية من كتابه ما كلم به موسى عليه السلام فقال ( ياموسى إني أنا ربك فاخلع نعليك — إلى قوله — واصطنعتك لنفسي ) وقال (ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ) فهذا كلام سمعه موسى من ربه بلا ترجمان كان بينه وبينه فدعاه الى وحدانيته وأمره بعبادته واقامة الصلاة لذكره وأخبر انه اصطنعه لنفسه واصطفاه برسالاته وبكلامه

وروى البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «احتج آدم وموسى

فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، فقال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة اتلومني على أمر قدره علي قبل أن يخلقني؟ قال فحج آدم موسى » وفي هذا ان موسى كلمه الله تكليما وسمع كلامه بلا واسطة

وأما قوله ( وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء ) فالوحي أول ما أرى الله الانبياء في منامهم قال الشافعي رحمه الله وغيره من العلماء رؤيا الانبياء وحي لقول ابن ابراهيم لما أمر أبوه فى المنام بذبحه ( افعل ماتؤمر )

وأما الكلام من وراء حجاب فهو كما كلم الله موسى من وراء حجاب

وروى البيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن موسى عليه السلام قال يارب أرنا الذي أخرجنا ونفسه من الجنة فأراه الله عز وجل آدم عليه السلام، فقال: أنت أبونا آدم ؟ فقال له أبونا آدم نعم، فقال أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك الاسماء كلها وأمر الملائكة فسجدوا لك ؟ قال نعم قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ قال له آدم فمن أنت ؟ قال أنا موسى، قال أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء حجاب لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه ؟ قال نعم » الخ الحديث

وأما الكلام بالرسالة فهو إرسال الروح الامين الى من شا من عباده قال الله تعالى( وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ) والاحاديث في ذلك كثيرة

قال البيهقي وقد كان لنبينا (ص) هذه الانواع الثلاثة :أما الرسالة فقد كان جبريل يأتيه بها من عند الله عزل وجل

واما الرؤيا في المنام فقد قال الله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) واما التكليم فقد قال الله عز وجل( فاوحى الى عبده ما اوحى) ثم كان فيما أوحى

اليه ليلة المعراج خمسين صلاة ، فلم يزل يسأل ربه التخفيف لامته حتى صارت الى خمس صلوات وقال له ربه « ( ما يبدل القول لدى ) وهي بخمسين صلاة »

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قلنا يارسول الله ، هل نرى ربنا جل ذكره ؟ قال ( هل تضارون في رؤية الشمس اذا كان صحو ؟ » قلنا لا ، قال « فتضارون في رؤية القمر ليلة البدر اذا كان صحو ؟ » قلنا لا قال « فانكم لاتضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤيتهما ثم ينادي مناد ، ليذهب كل قوم مع من كانوا يعبدون » فذكر الحديث قال فيه . « فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونها ؟ فيقولون الساق ، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقي من كان يسجد رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا »

وقال ﷺ « انكم سترون ربكم عز وجل يوم القيامة كما ترون الشمس لاتضامون في رؤيتها »

فاما أهل الحديث والسنة المحضة فانهم متفقون على اثبات العلو والمباينة والرؤية والمعتزلة ينفونها واختلف الاشعرية في العلو واتفقوا على الرؤية بلا مقابلة

قال ابن القيم : من اثبت احدهما ونفي الآخر فهو اقرب الى الشرع والعقل ممن نفاهما ، لان الايات والاحاديث والاثار المنقولة عن الصحابة في دلالتها على العلو والرؤية أعظم من ان تنحصر ، وليس مع نفاة الرؤية والعلو ما يصلح ان يذكر من الادلة الشرعية وانما يزعمون ان عندهم ادلة عقلية

فقول الاشعرية المتناقضين في العلو خير من قول المعتزلة النافين للرؤية والعلو وذلك انا اذا عرضنا على العقل وجود موجود لايشار اليه ولا يصعد اليه شيء ولا ينزل منه شيء ولا هو داخل العالم ولا هو خارجه ولا ترفع الايدي اليه ولا هو فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا خلف ولا امام كانت الفطر تنكر ذلك والعقول الصحيحة ، لانه لو قيل لك صف شيئا بالعدم لما قلت اكثر من ذلك كما قاله الحافظ الذهبي

وقد تمسك من نفى الرؤية من اهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بقوله ( لن تراني ) وقال «لن» تكون لتأبيد النفي ودوامه والمعتزلة لايشهد لهم بذلك كتاب ولاسنة وما قالوه في ان لن للتأبيد خطأ بين وليس يشهد لما قالوه نص عن اهل اللغة والعربية

ويدل على ذلك قوله تعالى في اليهود ( ولن يتمنوه ابدا ) مع انهم يتمنون الموت يوم القيامة ويدل عليه قوله تعالى (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك) وقوله ( ياليتها كانت القاضية )

وقد اتفق على الرؤية الانبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الاسلام على تتابع القرون وانكرها اهل البدع المارقون والجهمية المهوكون والفرعونيون المعطلون والباطنية الذينهم من جميع الاديان منسلخون ، والرافضة الذينهم بحبائل الشيطان متمسكون ، وعن حبل الله منقطعون ، ولكل عدو لله ورسوله ولامته مسالمون. وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون ، وعن بابه مطرودون اولئك أحزاب الضلال شيعة اللعين . وقد قال تعالى ( لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا )

فبيان الدلالة من هذه الآية على الرؤية من وجوه عديدة

( احدها ) انه لايظن بكليم الرحمن ان يسأل ربه ما لا يجوز عليه بل ذلك من ابطل الباطل وأعظم المحال ، فيالله العجب كيف صار اتباع الصابئة والمجوس والمشركين وفروخ الجهمية والفرعونية اعلم بما يجب لله ويستحيل عليه واشد تنزيها له من رسوله وكليمه ؟

( الوجه الثاني ) ان الله سبحانه لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالا لأنكره عليه ، ولهذا لما سأل ابراهيم الخليل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه ولما سأل عيسى بن مريم ربه أن ينزل مائدة من السماء لم ينكر سؤاله ، ولما سأل

نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال ( اني أعظك ان تكون من الجاهلين* قال رب إني أعوذ بك ان أسألك ما ليس لي به علم ، وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين )

( الوجه الثالث ) انه أجابه بقوله ( لن تراني ) ولم يقل اني لا أرى ولا اني لست بمرئي ، أولا تجوز رؤيتي ، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله. وهذا يدل على انه سبحانه مرئي ، ولكن موسى لا تحمل قواه رؤيته في هذا الدار لضعف قوة البشر عن رؤيته تعالى. يوضحه :

( الوجه الرابع ) وهو قوله ( ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) فأعلمه ان الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف ؟

( الوجه الخامس ) ان الله سبحانه قادر على ان يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بممتنع في مقدوره ، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ، ولو كانت محالا في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته

( الوجه السادس ) قوله(فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ) وهذا من أبين الادلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى فانه اذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه؟ فأعلم سبحانه موسى عليه السلام ان الجبل اذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف

( الوجه السابع ) ان الله سبحانه قد كلمه منه اليه وخاطبه وناجاه وناداه ، ومن جاز عليه التكلم والتكليم ، وسمع كلامه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ، ولهذا لا يتم انكار الرؤية إلا بانكار التكليم

وقد جمعت هذه الطوائف بين انكار الامرين فأنكروا ان يكلم الله احداً او يراه

أحد ، ولهذا سأله موسى النظر اليه لما اسمعه كلامه ، وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه ، ولم يخبر سبحانه باستحالة ذلك عليه ولكن أراه ان ماسأله لايقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه

وأما قوله ( لن تراني ) فانما يدل على النفي في المستقبل ولا يدل على دوامه ولو قيد بالتأبيد فكيف اذا أطلق كما قال تعالى ( ولن يتمنوه أبداً ) مع قوله ( ونادوا يامالك ليقض علينا ربك )

والدليل الثاني قوله تعالى ( واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه ) وقوله تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام ) وقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه) وقوله تعالى (يظنون انهم ملاقو ربهم ) وأجمع اهل اللسان ان اللقاء هو نسب الى الحي السليم من العمار المانع اقتضى المعاينة والرؤية (١) ولا ينقض هذا بقوله تعالى ( فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه ) فقد دلت الاحاديث الصحيحة والصريحة على ان المنافقين يرونه في عرصات القيامة ، بل والكفار ايضا كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة

وفي هذه المسئلة ثلاثة اقوال لأهل السنة ( احدها ) انه لايراه الا المؤمنون (والثاني) يراه المؤمن والمنافق (والثالث) يراه جميع اهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك ، والاقوال الثلاثة في مذهب أحمد وهي لاصحابه ، وكذلك الاقوال الثلاثة بعينها في تكلمه لهم ، ولشيخ الاسلام في ذلك مصنف مفرد حكى فيه الاقوال الثلاثة وحجج اصحابها

وكذلك قوله سبحانه وتعالى (يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه ) ان عاد الضمير على العمل فهو رؤيته في الكتاب مسطورا ، وان عاد على الرب تعالى فهو لقاؤه الذي وعد به

(١) الكلام هنا غير مستقيم فليتأمل

(والدليل الثالث) قوله تعالى (والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم* للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) فالحسنى الجنة ، والزيادة النظر الى وجهه الكريم ، وكذلك فسرها الذي انزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم والصحابة بعده كما رواه مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن صهيب رضي الله عنه قال قرأ ﷺ (للذين احسنوا الحسنى وزيادة) ثم قال «إذا دخل أهل الجنة الجنة ، واهل النار النار ، نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا ، يريد ان ينجزكموه ، فيقولون ماهو؟ الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويخرجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون اليه ، فما أعطاهم شيئا احب اليهم من النظر اليه ، وهي الزيادة»

وروى الحسن عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال «للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى»

وروى محمد بن جرير عن كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الزيادة النظر إلى وجه الرحمن

وروى أبو العالية عن أبي بن كعب قال سألت رسول الله ﷺ في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى الله عز وجل

وقال أبو بكر رضي الله عنه : الزيادة هي النظر الى وجه الله . وقال حذيفة رضي الله عنه : هي النظر الى وجه ربهم

وقال أبو موسى الاشعري هي النظر الى وجه الرحمن . وقال وهو يخطب الناس في جامع البصرة «ان الله عز وجل يبعث ملكا إلى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون الى الحلي والحلل والانهار والازواج

المطهرة فيقولون نعم قد أنجز الله ماوعدنا ، ثم يقول الملك هل أنجزكم الله ماوعدكم ؟ ثلاث مرات فيقولون نعم ، فيقول قد بقي لكم شيء ؟ ان الله يقول ( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) الا ان الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم»

وقال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما : الحسنى الجنة ، والزيادة النظر الى وجه الله ، والقتر السواد

وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى وعامر بن سعد واسماعيل بن عبد الرحمن السدي والضحاك وعبد الرحمن بن سابط وابو اسحاق السبيعي وقتادة وسعيد بن المسيب والحسن وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد ( الحسنى ) الجنة ( والزيادة ) النظر الى وجه الله . ولما عطف سبحانه وتعالى الزيادة على الحسنى التي هي الجنة دل على انها أمر آخر وراء الجنة وقد زائد عليها ، ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية لرب تبارك وتعالى

والدليل الرابع قوله تعالى ( كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون )

ووجه الاستدلال بها انه سبحانه جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته وسماع كلامه ، فلو لم يره المؤمنون ويسمعوا كلامه كانوا أيضاً محجوبين عنه

وقد احتج بهذه الحجة الامام الشافعي وغيره من الائمة فذكره الطبراني وغيره عن المزني قال : سمعت الشافعي يقول في قول الله عز وجل ( كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) قال فيها دليل على ان أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة

وقال الحاكم : حدثنا الاصم حدثنا الربيع قال حضرت محمد بن ادريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ماتقول في قوله ( كلا انهم عن ربهم

يومئذ لمحجوبون ) قال لما حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على ان أولياءه يرونه في الرضاء

( والدليل الخامس ) قوله عز وجل ( لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد ) قال الطبراني قال علي بن ابي طالب وأنس بن مالك: هو النظر الى وجه الله عز وجل

(والدليل السادس) قوله عز وجل ( لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار) والاستدلال بهذه الآية عجيب فانه من أدلة نفاة الرؤية

وقد قرر شيخ الاسلام ابن تيمية وجه الاستدلال بها أحسن تقرير وقال : لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله الا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله. فمنها هذه الآية، وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها ، فانه سبحانه ذكرها في سياق التمدح .ومعلوم ان المدح انما يكون بالاوصاف الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يتمدح به ، وانما يمدح الرب تعالى بالعدم اذا تضمن أمراً وجودياً، كتمدحه سبحانه وتعالى بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفي اللغوب والاعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته والهيته وقهره ونفي الاكل والشرب المتضمن كمال صمديته ، وغناه عن خلقه ، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغنائه ، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه واحاطته ، ونفي المثل المتضمن كمال ذاته وصفاته. ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن امراً ثبوتيا ، فان المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه

فلو كان المراد بقوله (لاتدركه الابصار ) انه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدحا ولا كمالا لمشاركة المعدوم له في ذلك ، فان العدم الصرف الذي لا يرى ولا

تدركه الابصار ، والرب جل جلاله يتعالى ان يمدح بأمر يشاركه فيه العدم المحض، فالمعنى انه يرى ولا يدرك ولا يحاط به ، كما كان المعنى في قوله (ولا يعزب عن ربك من مثقال ذرة ) انه يعلم كل شيء وفي قوله ( وما مسنا من لغوب ) انه كامل القدرة . وفي قوله ( ولا يظلم ربك أحداً ) انه كامل العدل ، وفي قوله ( لا تأخذه سنة ولا نوم ) انه كامل القيومية .

وقوله ( لا تدركه الابصار ) يدل على غاية عظمته ، وانه أكبر من كل شيء وانه لعظمته لا يدرك بحيث لا يحاط به، فان الادراك هو الاحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى ( فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون * قال كلا ) فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم انا لمدركون : لمرئيون ، فان موسى عليه السلام نفى ادراكهم اياهم بقوله ( كلا )

فأخبر الله سبحانه انه لا يخاف دركهم بقوله ( ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى ) فالرؤية والادراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك ، كما يعلم ولا يحاط به ، وهذا الذي فهمه الصحابة والأئمة. قال ابن عباس ( لا تدركه الابصار ) لا تحيط به الابصار .

فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بابصارهم عيانا ولا تدركه أبصارهم بمعنى انها لا تحيط به ، وهكذا يسمع كلامه من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه ، وكذلك يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه.

ونظير هذا استدلالهم على نفي الصفات بقوله تعالى ( ليس كمثله شيء )

وهذا من أعظم الادلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله ، وانها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها ، وهكذا جميع العقلاء انما يفهمون من قول القائل : فلان لا مثل له وليس له نظير ولا شبيه ، انه قد تميز عن الناس باوصاف

ونعوت لايشاركونه فيها ، وكلما كثرت أوصافه ونعوته فات وبعد عن مشابهة اضرابه، فكيف بالحي القيوم الذي لامثل له في ذاته وصفاته ؟ فقوله (ليس كمثله شيء ) من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته . وقوله ( لاتدركه الابصار ) من أدل شيء على انه يرى ولا يدرك

(والدليل السابع )قوله عز وجل ( وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ) فأنت اذا أخرجت هذه الآية عن تحريفها عن موضوعها ، والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراد منها ، وجدتها منادية نداء صريحا ان الله سبحانه يرى عيانا بالابصار يوم القيامة ، وان ابيت الا تحريفها الذي يسميه المحرفون: تأويلا، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها ، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ، ولايشاء مبطل على وجه الارض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها الا وجد إلى ذلك من السبيل ماوجد متأول مثل هذه النصوص ، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا ،

واضافة النظر إلى الوجه الذي هو محل في هذه الآية ،وتعديته باداة الى الصريحة في نظر العين واخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف الى الوجه المعدى بالى خلاف حقيقته وموضوعه ـ صريح في ان الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله ، فان النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه فان عدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله ( انظرونا نقتبس من نوركم )وان عدي بفي فمعناه التفكر والاعتبار كقوله ( اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض ) وان عدي بالى فمعناه المعاينة بالابصار كقوله (انظروا إلى ثمره إذا أثمر ) فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل النظر ؟ وكيف وقد قال ﷺ في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) قال«من البهاء والحسن» ( الى ربها ناظرة ) قال « في وجه الله عز وجل»

فاسمع أيها الانسان تفسير النبي ﷺ ، والاحاديث الدالة على الرؤية متواترة رواها عنه ﷺ ابو بكر الصديق وابو هريرة وابو سعيد الخدري وجرير ابن عبدالله وصهيب وعبدالله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وابو موسى الاشعري وعدي بن حاتم الطائي وأنس بن مالك الانصاري وبريدة بن الحصيب الاسلمي وابو رزين وجابر بن عبدالله وابو امامة الباهلي وزيد بن ثابت وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين وعبدالله بن عمر وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وعبدالله ابن عباس وعبدالله بن عمرو بن العاص وحديثه موقوف وأبي بن كعب وكعب ابن عجرة وفضالة بن عبيد ، وحديثه موقوف . فمن أراد الاطلاع عليها فليراجعها في مظانها

وقوله تعالى ( هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ) وهذه الآية من أدل شيء على مباينة الرب لخلقه باستوائه على عرشه وهو يعلم ماهم فاعلون ، ويراهم وينفذهم بصره ويحيط بهم علما وقدرة وارادة وسمعا وبصراً ، فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا . انتهى كلام ابن القيم

قال الحافظ الذهبي في قوله تعالى ( وهو معكم ) هو كما إذا كتبت الى رجل: إني معك وأنت غائب عنه . قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في ربيعة وحبيب ابني عمر وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون ، فقال أحدهم: هل يعلم الله ما نقول ؟ وقال الثاني يعلم البعض دون البعض ، وقال الثالث إن كان يعلم البعض فيعلم الكل . والمراد من قوله تعالى ( رابعهم ) والمراد من قوله تعالى ( معهم ) كونه تعالى عالما بكلامهم وضميرهم وسرهم واعلانهم كما قال ابن مسعود رضي الله عنه « العرش فوق الماء ، والله فوق العرش لايخفى عليه شيء من أعمالكم »

وعن زر عن عبد الله قال « مابين السماء القصوى وبين الكرسي خمسمائة سنة ، وما بين الكرسي والماء خمسمائة سنة ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم »

وقال البيهقي : لقد أصاب ابو حنيفة رحمه الله فيما نفى عن الله عز وجل من الكون في الارض، وأصاب فيما ذكر من تأويل الآية، وتبع مطلق السمع بان الله تعالى في السماء .

وبلغنا عن ابي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي صاحب الفقه الاكبر قال : سألت أبا حنيفة عمن يقول لاأعرف ربي في السماء أو في الارض فقال : قد كفر لان الله يقول ( الرحمن على العرش استوى ) وعرشه فوق سمواته ، فقلت انه يقول أقول: على العرش استوى ، ولكن قال لايدري العرش في السماء أو في الارض ؟ فقال: اذا أنكر أنه في السماء فقد كفر . رواها صاحب الفاروق باسناد عن ابي بكر بن يحيى عن الحكم

وسمعت الفاسي الامام تاج الدين عبد الخالق بن علوان قال سمعت الامام أبا محمد عبد الله بن احمد المقدسي مؤلف المقنع يقول: بلغني عن ابي حنيفة رحمه الله انه قال : من أنكر ان الله عز وجل في السماء فقد كفر

وقال محمد بن كثير سمعت الاوزاعي يقول: كنا والتابعين نقول إن الله عز وجل فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته . أخرجه البيهقي في كتاب الاسماء والصفات

وروى ابو اسحاق المفسر قال: سئل الاوزاعي عن قوله تعالى ( ثم استوى على العرش ) قال هو على العرش كما وصف نفسه

وقد سأل الوليد بن مسلم الامام أبا عمرو الاوزاعي عن أحاديث الصفات فقال أمروها كما جاءت

ومن كلام هذا الامام عليك بآثار من سلف ، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول

وروى عبد الله بن احمد بن حنبل في كتاب السنة عن مقاتل بن حيان في قوله تعالى ( ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ) قال هو على عرشه وعلمه معهم . وروى البيهقي باسناده عن مقاتل بن حيان قال : بلغنا ـ والله أعلم ـ في قوله تعالى ( هو الاول ) قبل كل شيء ، ( والآخر ) بعد كل شيء ، ( والظاهر ) فوق كل شيء ، ( والباطن ) أقرب من كل شيء ، وانه قريب بعلمه وهو فوق عرشه . وسئل سفيان الثوري عن قوله عز وجل ( وهو معكم أينما كنتم ) قال علمه

وقال عبد الله بن احمد بن حنبل في الرد على الجهمية حدثني ابي حدثنا شريح ابن النعمان عن عبد الله بن نافع قال مالك بن أنس « الله في السماء ، وعلمه في كل مكان لايخلو منه » ولهذا افتتح سبحانه وتعالى الآية بالعلم واختتمها بالعلم بقوله ( أن الله يعلم ) وقوله ( بكل شيء عليم ) كما قاله الامام احمد بن حنبل رحمه الله ، وقال تعالى ( ويحذركم الله نفسه ) وقال ( كتب ربكم على نفسه الرحمة ) وقال ( واصطنعتك لنفسي ) وقال فيما أخبر به عن عيسى عليه السلام ( تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك انك أنت علام الغيوب )

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال « لاأحد أغير من الله ، ولذلك حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن ، ولا شيء أحب اليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه » رواه البخاري في الصحيح عن حفص بن عمر وأخرجه مسلم من وجه آخر عن سعد ، وعنه قال : قال النبي ﷺ « ما أحد أحب اليه المدح من الله ومن أجل ذلك مدح نفسه ، وما أحد أغير من الله ، ومن أجل ذلك حرم الفواحش » وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه وهو مرفوع فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي » رواه مسلم

في الصحيح . وعنه ان رسول الله ﷺ قال « ان الله سبحانه لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه : ان رحمتي سبقت غضبي »

وعنه عن النبي ﷺ قال « التقى آدم وموسى فقال موسى لآدم أنت آدم الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة ؟ قال فقال آدم لموسى أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته واصطنعك لنفسه » الحديث رواه البخاري في الصحيح

وعن الصلت بن محمد وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وان تقرب إلي شبراً تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا ، وان أتاني يمشي أتيته هرولة » أخرجاه في الصحيح من وجه عن الاعمش

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ عن الله « ابن آدم اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي ، فان ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ من الملائكة ـ أو قال ـ في ملأ خير منه »

وعن أبي ذر الغفاري عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أنه قال « اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » رواه مسلم في الصحيح

وعن ابن عباس عن جويرية أن رسول الله ﷺ مر بها حين صلى الغداة او بعد ما صلى الغداة وهي تذكر الله ثم مر بها بعد ما ارتفع النهار او بعد ما انتصف النهار وهي كذلك فقال لها « لقد قلت منذ وقفت عليك كلمات ثلاث مرات هن أكثر أو ارجح او اوزن مما كنت فيه منذ الغداة سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضى نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته » رواه مسلم في الصحيح

وعن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قرأ على المنبر ( وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة ) فجعل رسول الله ﷺ يقول « كذا

يمجد نفسه جل وعز: أنا الجبار أنا العزيز أنا المتكبر » فرجف به المنبر حتى قلنا ليخر به الى الارض

وقال تعالى ( ولتصنع على عيني ـ وقال ـ فانك بأعيننا ـ وقال ـ واصنع الفلك بأعيننا )

عن نافع ان عبد الله بن عمر أخبره أن المسيح الدجال ذكر بين ظهراني الناس فقال رسول الله ﷺ « ان الله ليس باعور الا ان المسيح الدجال أعور عينه اليمين، كأن عينه عنبة طافية » رواه البخاري في الصحيح

وعن أنس عن النبي ﷺ انه قال « مابعث نبي الا وقد أنذر أمته الاعور الكذاب الا انه أعور وان ربكم ليس باعور ، مكتوب بين عينيه كافر » وعن ابن عباس ( واصنع الفلك بأعيننا ) قال بعين الله تبارك وتعالى

وقال تعالى( يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم ) عن أبي سعيد الخدري انه قال : قلنا يارسول الله أنرى ربنا تعالى ذكره ؟ قال « هل تضارون في رؤية الشمس إذا كان صحو ؟ » قلنا لا قال فتضارون في رؤية القمر ليلة البدر إذا كان صحو ؟» قلنا لا قال «فانكم لاتضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤيتهما، ثم ينادي مناد: ليذهب كل قوم مع من كانوا يعبدون ـ فذكر الحديث وقال فيه ـ فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونها ؟ فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً » قال وذكر الحديث رواه البخاري في الصحيح عن ابن بكير ، ورواه عن آدم بن اياس عن الليث مختصراً .وقال في الحديث « يكشف ربنا عن ساقه » ورواه مسلم عن عيسى بن حماد الليثي كما رواه ابن بكير

وروي ذلك أيضاً عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ . وقال تعالى

( عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ) وقال ( والذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم )

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ في حديث ذكره « إن الله لاينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ، التقوى ههنا ـ وأشار إلى صدره » رواه مسلم في الصحيح عن أبي الطاهر عن ابن وهب

وعنه عن النبي ﷺ قال « إن الله عز وجل لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن انما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »

وعنه عن النبي ﷺ قال « إن الله لاينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » هذا هو الصحيح المحفوظ فيما بين الحفاظ

فأما الجاري على ألسنة جماعة من أهل العلم وغيرهم « إن الله لاينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم » فهو مخالف الحديث الصحيح ولقوله تعالى ( فسيرى الله عملكم )

وعن محمد بن سيرين عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « لم يكذب ابراهيم قط إلا ثلاث كذبات : ثنتين في ذات الله قوله ( اني سقيم ) وقوله ( بل فعله كبيرهم هذا ) وواحدة في شأن سارة انها أختي » رواه البخاري في الصحيح عن معبد بن نمليد عن ابن وهب ورواه مسلم عن ابي الطاهر

وعن ابن عباس قال « تفكر في كل شيء ولا تفكر في ذات الله »

وعن ابي الدرداء « لاتفقه كل التفقه حتى تمقت الناس في ذات الله ثم تقبل على نفسك فتكون لها أشد مقتاً منك للناس » إلى غير هذا من الآيات الصريحة والاحاديث الصحيحة التي يجب الايمان بها والعمل بمقتضاها من غير تحريف وتبديل وتشبيه وتعطيل ، بل نثبت ما أثبت الله لنفسه ونكل علمه اليه ، ونقول

آمنا بالله على مراد الله ، كما قاله خير القرون الذين هم بالله وصفاته عارفون من الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين ومن على سننهم من أئمة المسلمين ، كما قال ابو المعالي الحويني امام الحرمين لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ، بل هم بين مشبه ومعطل ، والطريق المخلص منهما طريق القرآن اقرأ في الاثبات ( الرحمن على العرش استوى ) (اليه يصعد الكلم الطيب ) واقرأ في النفي ( ليس كمثله شيء ) ( ولا يحيطون به علما ) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي

قال ابن القيم: من ظن ان الله سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل ، وترك الحقائق المقصودة من كلامه سبحانه وتعالى ورمز اليهم رموزاً بعيدة ، وأشار اليهم اشارة ملغزة ، وصرح بالتشبيه والتمثيل والامور الباطلة التي لا تجوز عليه ولا تليق به ، وأراد من خلقه ان يبعثوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه ، وتأويله على غير تأويله المفهوم من ظاهره ، ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة شرعا وعقلا ، والتأويلات التي هي بالالغاز والاحاجي أشبه منها بالكشف والبيان ، وأحالهم في معرفته وأسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لا على كتابه ، بل أراد منهم ان لا يحملوا كلامه على ما يعرفون من خطابهم ولغتهم مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق الذي ينفي التصريح به ، ويريحهم من الالفاظ التي توقعهم في الاعتقاد الباطل فلم يفعل ، بل سلك بهم خلاف طريق الهدي والبيان ـ فقد ظن به ظن السوء

فانه إن قيل انه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذي عبر به هو وسلفه فقد ظن العجز بقدرته

وإن قيل انه قادر ولم يبين وعدل عن البيان والتصريح بالحق إلى ما يوهم ،

بل يوقع في الباطل المحال والاعتقاد الفاسد ، فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء ، وظن انه وسلفه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله ، وان الهدى والحق في كلامهم وعبارتهم ، وأما كلام الله فانما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل والضلال وظاهر كلام المتهوكين الحائرين هو الهدي والحق ، هذا من سوء الظن بالله فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء ، ومن الظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية

ومن ظن به انه ليس فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وان نسبة ذاته تعالى إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل السافلين ، فقد ظن به ظن السوء ، ومن ظن أنه أسفل كما هو أعلى ، وان من قال سبحان ربي الاسفل كمن قال سبحان ربي الاعلى فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه

ومن ظن به خلاف ماوصف به نفسه او وصفه به رسوله ، اوعطل حقائق ماوصف به نفسه ووصفه به رسوله فقد ظن به ظن السوء .

ومن ظن به ان أحداً يشفع عنده بغير اذنه ، وان بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم اليه ، وانه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم اليه ، ويتوسلون بهم عليه ، ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم فيدعونهم في حاجتهم اليه سبحانه وتعالى ، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه

وقال الحافظ الذهبي : ماأدركنا عليه العلماء في جميع الامصار حجازاً وعراقا وشاما ويمنا يقولون إن الله على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف ، وأحاط بكل شيء علما ، وهكذا يقولون في جميع الصفات القدسية

وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين من بعدهم ، والتمسك بمذاهب أهل الاثر مثل الشافعي واحمد وغيرهم رحمهم الله ، ونعتقد ان الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير )

وقال محمد بن أسلم الطوسي القرآن كلام الله غير مخلوق أينما تلي وحيثما كان، لايتغير ولا يتبدل ، ينقل من المصحف مائة مصحف وذاك الاول لايتحول في نفسه ولا يتغير ، وتلقن القرآن ألف نفس وما في صدرك باق بهيئته، وذاك ان المكتوب والكتابة تعددت والذي في صدرك واحد وما في صدور المؤمنين هو عين ما في صدرك ، والمتلو واحد وإن تعدد التالون له ، وهو كلام الله ووحيه وتنزيله ليس هو كلامنا أصلا ، وتكلمنا به ، وتلاوتنا له من أفعالنا، وكذلك كتابتنا له وأصواتنا به من أعمالنا ( والله خلقكم وما تعملون )

فالقرآن المتلو مع قطع النظر عن أعمالنا كلام الله ليس بمخلوق فاذا سمعه المؤمنون في الآخرة من رب العالمين فالتلاوة إذ ذاك والمتلو ليسا بمخلوقين

وقال عبد الله بن الامام احمد سألت ابي ماتقول في الرجل يقول التلاوة مخلوقة ، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ؟ وكان ابي يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء او يقال مخلوق او غير مخلوق ـ كلام حسن وإلا فالملفوظ كلام الله ، والتلفظ به فمن كسبنا

وقل الامام ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ في كتابه مختلف الحديث نحن نقول في قول الله تعالي ( مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ) يعلم ماهم عليه كما اذا وجهت رجلا إلى بلد وقلت له احذر التقصير فاني معك ، تريد انه لايخفى علي تقصيرك. ولا يسوغ لاحد أن يقول انه سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله ( الرحمن على العرش استوى ) ومع قوله (اليه يصعد الكلم الطيب) فكيف يصعد اليه شيء هو معه ، وكيف تعرج الملائكة والروح اليه وهي معه ؟

ولو ان هؤلاء رجعوا الى فطرهم وما ركبت عليه ذواتهم في معرفة الخالق لعلموا ان الله عز وجل هو العلي الاعلى ، وان الايدي ترفع بالدعاء اليه ، والامم كلها أعجميها وعربيها تقول : ان الله في السماء ماتركت على فطرها

وقال ابن خزيمة : من لم يقر بان الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته بائن من خلقه ،فهو كافر يستتاب ، فان تاب والا ضربت عنقه ، وكان اماما في الحديث واماما في الفقه

وقال ابن سريج : حرام على العقول أن تمثل الله ، وعلى الاوهام أن تحده ، وعلى الالباب أن تصفه بغير ماوصف به نفسه في كتابه او على لسان رسول الله ﷺ . وقد صح عند جميع اهل الديانة والسنة الى زماننا ان جميع الآيات والاخبار الصادقة عن رسول الله ﷺ يجب على المسلمين الايمان بكل واحد منها كاورد وان السؤال عن معانيها بدعة وكفر وزندقة مثل قوله ( الرحمن على العرش استوى ) وقوله ( هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ) وقوله (وجاء ربك والملك صفاً صفا ) ونظائرها مما نطق به القرآن كالفوقية والنفس ، واليدين والوجه ، والسمع والبصر والضحك والتعجب ، والنزول الى السماء الدنيا : اعتقادنا فيه وفي الآي المتشابه في القرآن أن نقبلها ولا نردها ، ولا نتناولها بتأويل المخالفين ولا نحملها على تشبيه المشبهين ، ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية

وسئل ابو جعفر الترمذي عن حديث نزول الرب فقال : النزول معقول ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة

فالنزول والكلام والسمع والبصر والاستواء عبارات جلية واضحة للسامع فاذا اتصف بها من ليس كمثله شيء فالصفة تابعة للموصوف

وقال الطحاوي في العقيدة التي ألفها (ذكر بيان السنة والجماعة على مذهب ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد رضي الله عنهم) نقول : في توحيد الله معتقدين أن الله واحد لاشريك له ، ولا شيء مثله ، ما زال بصفاته قبل خلقه . وان القرآن كلام الله يتلى ، وأنزله على نبيه وحياً ، وصدقه المؤمنون حقاً ، وأيقنوا انه كلام

الله بالحقيقة ليس بمخلوق ، فمن سمعه وزعم أنه كلام البشر فقد كفر. والرؤية لأهل الجنة حق بغير إحاطة ولا كيفية

وكل ماني ذلك من الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال ومعناه على ماأراد سبحانه وتعالى . ولا تثبت قدم الاسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام ماحظر عليه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد ، وصحيح الايمان ، ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه ، الى أن قال : والعرش والكرسي حق كما بين في كتابه ، وهو مستغن عن العرش وما دونه ، محيط بكل شيء وفوقه

وقال ابو الحسن الاشعري في كتابه الذي سماه (اختلاف المصلين، ومقالات الاسلاميين ) فذكر فرق الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم ـ الى أن ذكر مقالات أهل السنة وأصحاب الحديث قال : قولهم الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وبما جاء عن الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، وان الله تعالى على عرشه كما قال ( الرحمن على العرش استوى ) وان له يدين بلا كيف كما قال ( بيدي ) وان أسماء الله لا يقال انها غير الله كما قال المعتزلة ، ويقرون ان لله علما كما قال ( أنزله بعلمه وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ) وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك كما نفته المعتزلة وقالوا : لا يكون في الارض من خير وشر إلا ماشاء الله كما قال تعالى ( وما تشاءون إلا أن يشاء الله) ويقولون القرآن كلام الله غير مخلوق ، ويؤمنون بالاحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر » الحديث .ويقرون ان الله يجيء يوم القيامة كما قال ( وجاء ربك والملك صفا صفا) وان الله تعالى يقرب من خلقه كيف شاء قال ( ونحن أقرب اليه من حبل الوريد)

الى أن قال ـ فهذا جملة ما يأمرون به ويعتقدونه ويرونه. وبكل ماذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب .

وذكر الاشعري في كتابه المذكور في [ باب هل الباري تعالى في مكان دون مكان أم ليس في مكان أم في كل مكان ؟ ] فقال

اختلفوا في ذلك على سبع عشرة مقالة (منها) قول أهل السنة وأصحاب الحديث انه ليس بجسم ولا يشبه الاشياء ، وانه على العرش كما قال ( الرحمن على العرش استوى ) ولا نتقدم بين يدى الله بالقول بل نقول : استوى بلا كيف ، وان له يدين كما قال ( خلقت بيدي ) وانه ينزل الى سماء الدنيا كما جاء في الحديث ـ ثم قال ـ وقالت المعتزلة استوى على عرشه بمعنى استولى ، وتأولوا اليد بمعنى النعمة وقوله ( تجري بأعيننا ) أي بعلمنا .

وقال فيه أيضا في باب الاستواء فان قال قائل ماتقولون في الاستواء ؟ قيل نقول : ان الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى* اليه يصعد الكلم الطيب ـ وقال ـ بل رفعه الله اليه )

وقال حكاية عن فرعون ( وقال فرعون : ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب ـ أسباب السموات ـ فأطلع الى إله موسى وانى لأظنه كاذبا) أكذب فرعون موسى في قوله : ان الله فوق سمواته . وقال عزوجل (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض ) فالسموات فوقها العرش ، وكل ما علا فهو سماء ، والعرش أعلى السموات ، فلولا ان الله تعالى فوق عرشه ماكان في حق ملائكته (يخافون ربهم من فوقهم ) ولما فطر الخلق عند سؤاله على رفع الايدي إلى السماء

وقال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية ان معنى ( استوى ) استولى وملك وقهر، بما يفيد التجدد والحدوث في الملك، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

بل هو مستو ومالك وقاهر على العرش وعلى جميع مخلوقاته من حين خلقهم

وقالوا انه في كل مكان ، وجحدوا أن يكون على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى القدرة ، فلو كان كما قالوا كان لافرق بين العرش وبين الارض السابعة لانه قادر على كل شيء ، وكيف يكون في كل مكان ؟ ومنه الحشوش والحانات ، والمزابل ، وما أشبه ذلك من الاماكن المستقذرة . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يكون الله في شيء من ذلك فبطل ما يقولونه بالنقل والعقل .

وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك فلا نطيل بذكرها فلتراجع في مظانها

وقال احمد : جملة ما نقول أن نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما جاء عن الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ وان الله اله واحد في ذاته وصفاته لا إله غيره ، وان محمداً عبده ورسوله ، وان الجنة حق والنار حق ، وان الساعة آتية لاريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور ، وان الله تعالى مستو على عرشه كما قال ( الرحمن على العرش استوى ) وان له وجها كما قال ( ويبقى وجه ربك ) وان له يدين كما قال ( بل يداه مبسوطتان ) وان له عينا بلا كيف كما قال ( تجري بأعيننا ) وان من زعم ان اسم الله غيره كان جاهلا ، وان الله يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ، وانه يقلب القلوب بين أصبعين من أصابعه ، وانه يضع السموات على أصبع ، والارضين على أصبع وانه ينزل في كل ليلة الى السماء الدنيا كما جاءت الاحاديث ، وانه يقرب من خلقه كيف يشاء ، كما قال ( ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ) وكما قال ( ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او أدنى ) ـ الى أن قال ـ ونرى مفارقة كل داعية الى بدعة ومجانبة اهل الاهواء

وقد أخذ ابو الحسن ( الاشعري ) عن الجبائي ثم نابذه ورد عليه وصار متكلما بالسنة

ووافق أئمة الحديث في جمهور مايقولونه ، وقد نقل اجماعهم على ذلك وموافقتهم عليه ، وكان يتوقد ذكاء ، وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، وله أربع وستون سنة رحمه الله

وقال علي بن خلف شيخ الحنابلة ببغداد : الكلام في الرب محدث وبدعة وضلالة ، فلا يتكلم في الله الا بما وصف به نفسه ، ولا يقال في صفاته : لم ؟ ولا كيف على عرشه استوى ؟ وعلمه بكل مكان ، والقرآن كلام الله وتنزيله ونوره ليس بمخلوق

وقال الحافظ ابو بكر محمد بن الحسين الآجري في ( كتاب الشريعة في السنة ) في باب التحذير من مذهب الحلولية ، فالذي ذهب اليه أهل العلم ان الله تعالى على عرشه فوق سمواته ، وعلمه محيط بكل شيء ، ويرفع اليه أعمال العباد . فان قيل : ما معنى قوله ( مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ) ؟ قيل : علمه والله على عرشه وعلمه محيط بهم . والآية يدل أولها وآخرها على انه العلم وهو على عرشه. هذا قول المسلمين .

وقال مالك رحمه الله : الله في السماء ، وعلمه في كل مكان لايخلو من علمه مكان

وقال احمد بن ابراهيم الاسماعيلي في كتابه ( المسمى اعتقاد أهل السنة ) قال : اعلموا رحمكم الله أن مذهب أهل السنة والجماعة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما نطق به كتاب الله ، وما صحت به الرواية عن رسول الله ﷺ لانعدل عما وردا به ، ويعتقدون أن الله تعالى مدعو باسمائه الحسنى ، موصوف بصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه ، خلق آدم بيده ويداه مبسوطتان بلا كيف ، واستوى على عرشه ، وأحاط بكل شيء علما

وقال الامام محمد الهروي (١) صاحب التهذيب : الله تعالى على العرش ، ويجوز

(١) كذا في الاصل ولعله ابو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي

أن يقال في المجاز هو في السماء لقوله ( أأمنتم من في السماء )

وقال الامام ابو الحسن علي بن مهدي الطبري تلميذ الاشعري في كتاب (مشكل الآثار ) له في باب قوله تعالى ( الرحمن على العرش استوى) اعلم أن الله في السماء فوق كل شيء ،مستو على عرشه ،بمعنى انه عال عليه، ومعنى الاستواء الاعتلاء كما تقول العرب ، استويت على ظهر الدابة ، واستويت على سطح الدار ، بمعنى علوته ، واستوت الشمس على رأسي ، واستوى الطير على قمة رأسي بمعنى علا في الجو فوجد فوق رأسي . فالقديم جل جلاله وتعالت عظمته عال على عرشه بذاته ، بائن من مخلوقاته لقوله ( أأمنتم من في السماء — وقوله — ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلي ـ وقوله ـ تعرج الملائكة والروح اليه )

وزعم البلخي ان استواء الله على العرش هو الاستيلاء عليه، مأخوذ من قول العرب * استوى بشر على العراق *اذا استولى عليها

[ فالجواب ] ان الاستواء هنا ليس بمعنى الاستيلاء ،لان الله مستول على العرش وعلى جميع مخلوقاته من حين أوجدهم كما هو المعلوم من الدين بالضرورة فلا معنى حينئذ لتخصيص العرش بالاستيلاء عليه من دون سائر خلقه ، فبان بذلك بطلان قوله، وكذلك أيضا الاستواء هنا ليس هو الاستيلاء الذي هو من قول العرب، استوى فلان على كذا أي استولى اذا تمكن من بعد ان لم يكن متمكنا، والباري عز وجل لا يوصف بالتمكن بعد ان لم يكن متمكنا تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا الى غير ذلك من الآيات والاحاديث والآثار ، وما عليه الصحابة والتابعون ، وتابعيهم وأئمة المسلمين من المجتهدين والمقلدين وبالله المستعان وعليه التكلان ، وفيما ذكر كفاية لمن له أدنى دراية وبالله التوفيق الى سواء الطريق ، وحسبنا الله، ولا حول ولا قوة الا بالله ولا نعبد الا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين